كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

الثقافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

عند ما نبحث عن الأسباب التى تدعو إلى استمرار بعض البلاد الغربية على فرض تعليم اللاتينية ولو فى بعض الفروع من الدراسة الثانوية ، يجب علينا ألا نسهو عن تذكر هذا العهد الذى كانت تسيطر فيه اللاتينية على حياة العلم والتعليم فى جميع مرافقها سيطرة تامة ...

كان من الطبيعى ألا تستمر هـذه السيطرة المطلقة على طول الزمن ، كما كان من الطبيعى أيضاً ألا تزول هذه السيطرة المطلقة دون أن تترك أثراً عميقاً ...

كان من الطبيعى أن ترتفع أصوات الاعتراض والاحتجاج على هذه السيطرة ، مع بزوغ عصر النهضة ؛ وكان من الطبيعى أن تقوى الأصوات المطالبة بتخفيف وطأة هذا « النير اللاتينى » — حسب تعبير « لا برويير » الشهير — ؛ وكان من الطبيعى أن تصل هـذه الأصوات — أخيراً — إلى درجة الدعوة إلى الثورة ضد اللاتينية للتخلص من سلطتها المطلقة ...

إن الخروج على سلطة اللغة اللاتينية بدأ أولاً على شكل « انقلاب دينى » عند ما طالب لوثير بترجمة الإنجيل إلى اللغات القومية ، ودعا إلى إقامة الصلوات باللغات التى يتكلم بها الناس .

ثم جاء دور الانقلابات الأدبية، فخرجت الآداب — فى الممالك الأوربية المختلفة — على سلطة اللغة اللاتينية المطلقة عندما تهذبت وتقدمت اللغات العاميـة ، وأنتجت من الآثار الهامة ما رفعها إلى مصاف اللغات الأدبية

وأخيراً جاء دور تخلص «العلم والتعليم» من سيطرة اللاتينية، فأخذت هـذه اللغة تفقد سلطتها المطلقة فى هذا الميدان أيضاً شيئاً فشيئاً .

إن الانقلاب الأخير لم يتمّ إلاّ بتدرج غريب، وبطء عظيم؛ فمثلاً اللغة الفرنسية لم تتمكن من دخول المدارس إلا باجتياز مراحل عديدة تتلخص فيما يلى : أولاً إفساح المجال للتكلم بها فى أوقات الفرص . ثانياً : تسويغ استعمالها لتفهيم العقائد الدينية للصغار . ثالثاً : تخصيص ساعات لتعليمها كدرس خاص . رابعاً : تحميلها مهمة تعليم بعض الموضوعات الدراسية . وأخيراً زيادة هذه الموضوعات بصورة تدريجية .

كما أن «التاريخ» أيضاً لم يدخل المدارس إلا مجتازاً مراحل عديدة: أولاً على شكل «التاريخ المقدس» مرتبطاً بدروس الدين. ثانياً على شكل « تاريخ اليونان » و « تاريخ الرومان » مرتبطاً بدروس اللاتينية واليونانية .

إننى لا أرى داعياً لاستعراض جميع التطورات التى طرأت على المناهج الأساسية فى المدارس المذكورة ، حتى أواسط القرن التاسع عشر . غير أننى أود أن ألخصها بكلمة مختصرة ، وهى : إفساح المجال للعلوم المختلفة شيئاً فشيئاً، بجانب اللاتينية واليونانية، دون إخراج هاتين اللغتين من نطاق الدروس الإجبارية .

صحيح كأصح ما يكون الجسد السليم ، وأن آفته كلها قلة الغذاء قلة الغذاء ؟ كيف يكون هذا وهو يأكل ويشبع ولا يجوع ؟

وأصر الرجل على طعامه ، وخاف النـاظر على تلاميذه أن يفوتهم من الحصص بمقدار ما يعترى الأستاذ من نوبات الإغماء . . فأذن له ، بل أمره أن يأكل من طعام الغداء بغير ثمن ، وفيه على الأقل ضمان وجبة نافعة فى النهار ..!

* * *

كان القديس أوغسطين يقول إذا تكلم عن جسده : أخى الحمار . لأنه فى حكمه حيوان كسائر فصائل الحيوان

أما الجسد عند هؤلاء الذين يطعمونه وهم يسقمونه، ويَسُمونه وهم يحسبون أنهم يسمنونه ، وينفقون المال ولا يعرفون كيف يأكلون ، ويشبعون وخير لهم لو يجوعون ، فهو الأحق بأن يقول وهو يتكلم عن صاحبه : أخى الحمار ... فهما فى الواقع حماران اثنان فى جسم إنسان

ولمثل هؤلاء تشرع مطاعم الجهلاء، من الفقراء والأغنياء !

عباس محمود العقاد

كان بعض المفكرين والمربين يدعون إلى إحداث انقلاب أساسي في مناهج التعليم من حين إلى حين . كانوا يظهرون ارتيابهم في فوائد تعليم اللغات القديمة ، حتى أنهم كانوا يصلون بانتقاداتهم هذه إلى درجة القول بضررها ؛ غير أن هذه الآراء قلما كانت تجد آذاناً صاغية ، فلم تستطع أن توجد تيارات فكرية قوية تؤثر على الحالة الراهنة

مع هذا اشتدت الحملات على اللاتينية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، وأخذت الانتقادات تتغلغل في محافل المفكرين ، من جراء انتشار روح الثورة واشتداد نزعة الإصلاح والتجديد من جهة ، ومن جراء تقدم العلوم وتعقد الحياة الاجتماعية من جهة أخرى

فازداد تساؤل المفكرين والمربين يوماً عن يوم : هل من ضرورة تدعو إلى الاستمرار على تعليم اللغات القديمة في المدارس الثانوية ؟ ألم يكن هذا التعليم من آثار النظم البالية التي توارثتها المدارس المذكورة من عهد القرون الوسطى ؟ ما الفائدة من تعليم هذه اللغات بعد أن لم يبق على وجه الأرض من يتكلم بها ؟ وإذا قيل إنها لا تخلو من فوائد ، فهل تعادل هذه الفوائد الجهود العظيمة والأوقات الثمينة التي تصرف وتبذل في هذا السبيل ؟ ألا يمكن الوصول إلى الفوائد المذكورة من طرق أخرى بوسائط أقل عقماً من تعليم اللغات الميتة ؟

إن هذه الأسئلة فتحت ميداناً فسيحاً للأبحاث والمناقشات التربوية . وهذه الأبحاث والمناقشات ، تناولت مسألة « التعليم الثانوي » من وجوهها العديدة ، حتى أنها أثارت مسألة « التدريس التثقيفي » من أسسها العميقة . . .

* * *

انشطر المفكرون والمربون حيال مسألة اللغتين اللاتينية واليونانية إلى معسكرين متخاصمين : معسكر الذين يقولون بوجوب المحافظة على هاتين اللغتين القديمتين في المدارس الثانوية ، ومعسكر الذين يعتقدون بوجوب تخليص المدارس المذكورة منهما

بدأت المناقشات بين المعارضين والمدافعين منذ قرن تقريباً ؛ وهي تشتد أحياناً وتفتر أحياناً ؛ وتضطر الحكومات إلى اتخاذ قرارات عملية جديدة ، تحت ضغط هذه المناقشات ، من حين إلى حين

إن النزاع حول هذه المسألة صار أشد عنفاً وأعمق أثراً في فرنسا مما كان في البلاد الأخرى ... ولهذا السبب ، أرى من الموافق أن نلقي نظرة عامة على الآراء التي استند إليها المعارضون والمدافعون ، في المملكة المذكورة بوجه خاص :

يقول أنصار اللغات القديمة : إن في تعليم هذه اللغات فوائد عظيمة ـ مباشرة وغير مباشرة ، قريبة وبعيدة ، عملية ونظرية ، تعليمية وتثقيفية ـ لا تضاهيها الفوائد التي يمكن الحصول عليها من تعليم أية لغة من اللغات الحية ، وأي فرع من فروع الدراسة الأخرى ...

وأما أنواع هذه الفوائد ، فتتلخص في الأمور التالية :

(ا) إن اللاتينية أم اللغة الفرنسية ومصدر مفرداتها ؛ فإتقان اللغة الفرنسية إتقاناً يضمن الأخذ بناصيتها ، لا يمكن أن يتم بدون معرفة اللغة اللاتينية ...

(ب) إن الآداب الفرنسية تأثرت بالآداب اللاتينية واليونانية تأثراً كبيراً . فمعرفة الآداب الفرنسية معرفة عميقة يتوقف على درس الآداب اللاتينية واليونانية دراسة كافية

(ج) إن خزائن الأدب اللاتيني واليوناني مملوءة بالآثار الخالدة التي تصور أسمى نزعات الإنسان بأجمل الأساليب ؛ فالاطلاع على هذه الآثار الخالدة من الأمور الضرورية لتكوين الثقافة السامية

(د) إن الحقوق الفرنسية مؤسسة على الحقوق الرومانية ، والتعمق في هذه الحقوق يتطلب معرفة مصادرها ، وفهم هذه المصادر يتوقف على معرفة اللاتينية

(ه) لقد أصبحت اللاتينية واليونانية مصدر الاصطلاحات العلمية ولا سيما ما يتعلق منها بالتاريخ الطبيعي والطب والكيمياء وأنواع المخترعات الحديثة ، ومعرفة معاني هذه الاصطلاحات العلمية — وصوغ أمثالها عند الحاجة — مما يتطلب معرفة هاتين اللغتين

(و) إن تعليم اليونانية واللاتينية من أحسن وأنجع الوسائل التثقيفية ؛ فإن هذا التعليم يلعب دوراً هاماً في تكوين العقل وتقويمه وتعويده على التفكير الصحيح المستقيم

ولا يوجد موضوع دراسي يضاهي هذا التعليم من وجهة هذا العمل التثقيفي . ولذلك يجب أن نعتبر تعليم اللاتينية واليونانية بمثابة حجر الزاوية في صرح التثقيف

إن جميع العظماء الذين نعرفهم ونفتخر بهم — من أساطين الأدب إلى جهابذة الفقه والعلم — قد تثقفوا بهذه الثقافة واستفادوا منها فلا يجوز لنا أن نهملها . . . ويجب أن نعلم حق العلم أن إهمال هذه الثقافة التي أثبتت جدارتها بالثمرات الثمينة التي آتتها للأمة الفرنسية يكون بمثابة تعريض مستقبل هذه الأمة إلى خطر عظيم ، خطر انحطاط الثقافة العامة التي تفتخر بها: وخطر اندراس جيل أعاظم الأدباء والعلماء الذين نُعجب بهم

هكذا كان يقول أنصار اللاتينية واليونانية

وأما معارضو هؤلاء فيقولون : إن اللاتينية واليونانية من اللغات الميتة التي ترجع إلى العهود البائدة ؛ وإن الحضارات والثقافات التي تتمثل في هاتين اللغتين أصبحت مدفونة في أغوار التاريخ ولو كانت سامية وباهرة إبان حياتها . فليس من المعقول أن نصرف — في هذا العصر الذي نعيش فيه — كل هذه الأوقات ، ونستنفد كل هذه الجهود في سبيل تعلم وتعليم مثل هذه اللغات البائدة ...

وأما الفوائد الآنفة الذكر فيفندها المعارضون واحدة فواحدة كما يلي :

(ا) لا شك في أن اللاتينية هي أم الفرنسية ومصدرها الأصلي ؛ غير أن ذلك لا يدل على أن إتقان الفرنسية يتطلب معرفة اللاتينية . فالفرنسية اليوم ، أصبحت لغة مستقلة عن اللاتينية استقلالاً تاماً ؛ فيجب أن تدرس درساً مباشراً ، حسب معانيها وقواعدها وأساليبها الخاصة بها ، بقطع النظر عن مصادرها الأصلية وتطوراتها التاريخية . وأما درس تلك المصادر ، وتتبع تلك التطورات ، فما يجب أن يختص به العلماء الذين يودون أن يتبحروا في فقه اللغة ويتعمقوا في تاريخها ؛ ولم يكن من الأمور التي يجب أن تعتبر من أسس دراسة الفرنسية دراسة تامة ، حتى ولا من أسس دراستها دراسة أدبية .

(ب) إن الأدب الفرنسي أدب قائم بنفسه، وإن كان قد نشأ في أحضان الأدب اللاتيني وتأثر بالأدب اليوناني . إنه اتخذ أسلوباً خاصاً ، فاكتسب كياناً مستقلاً . فدرس هذا الأدب وإتقانه لا يتطلبان الرجوع إلى منابعه بوجه من الوجوه .

ومن أوضح البراهين على ذلك هذه الحقائق الواقعة : « إننا نعرف عدداً لا يحصى من المستنيرين الذين درسوا اللاتينية واليونانية ، ومع هذا لم يصبحوا من الكتاب المجيدين في الفرنسية . ومقابل ذلك نعرف عدداً غير قليل من الأدباء الذين أحرزوا مكانة عظمى في تاريخ الأدب الفرنسي ، مع أنهم لم يتعلموا اللاتينية ، ولم يتثقفوا بآدابها ... »

(إن لاروشفوكو، وورنياك، وآلكساندر دوماس، وجورج سان ... من جملة الأدباء الذين يذكرون في هذا الصدد ...)

(ج) إن الآثار الخالدة المكتوبة باليونانية واللاتينية قد ترجمها إلى الفرنسية كبار الأقلام، فيمكن الاطلاع عليها من تلك الترجمات الجيدة ، دون إضاعة الأوقات والجهود ، في تعلم اللغات التي كتبت بها

هذا . ومما يجب ألا يعزب عن البال أن معرفة اللاتينية واليونانية التي يمكن الحصول عليها خلال الحياة المدرسية لا تستطيع أن ترفع الطالب إلى درجة تمكنه من تذوق مضامين تلك الآثار الفكرية والأدبية ومزاياها — في لغاتها الأصلية — ولذلك نستطيع أن نقول : إن درس الآثار المذكورة في ترجماتها الجيدة أكثر ضماناً لتذوق مزاياها تذوقاً حقيقياً ...

وزد على ذلك أن اللغات الحية الراقية أيضاً أوجدت آثاراً خالدة لا تقل أهمية وسحراً عن الآثار التي يشير إليها دعاة اللاتينية واليونانية ، إن لم نقل بأنها تفوقها في هذا المضمار ، على الأقل من وجهة قربها إلى حياتنا العصرية ... فلا يحسن بالثقافة الإنسانية العالية أن تبقى تحت سلطان اللاتينية واليونانية القديمة ؛ بل الأجدر بها أن تستفيد من الآثار الخالدة التي أنتجتها اللغات الحية في العصور الحديثة ...

إن تعلم اللغات الحية — عوضاً عن اللاتينية الميتة واليونانية القديمة — يأتي بفوائد عظيمة ، من هذه الوجهة أيضاً

(د) لا ينكر أن الحقوق الفرنسية مستمدة من الحقوق الرومانية ، والحقوق الرومانية مدونة باللغة اللاتينية . غير أن النصوص اللاتينية المتعلقة بالحقوق والقوانين — قد ترجمت

بأجمعها إلى اللغة الفرنسية على يد أقدر العلماء والمتخصصين . فأصبح فى استطاعة كل فرنسى أن يدرس الحقوق الرومانية دون أن يتعلم اللاتينية

هذا ، ويجب ألا يعزب عن البال أن الحقوق والقوانين المصرية لم تبق تحت سيطرة الحقوق الرومانية ، وإن كانت قد استمدت — فيما مضى — أصولها منها . فأهمية الحقوق الرومانية فى الثقافة الحقوقية آخذة فى التضاؤل يوماً عن يوم ، وسائرة نحو مطاوى التاريخ بخطوات سريعة

ولهذا كله لا مجال لتبرير تعليم اللاتينية — بصورة منطقية — بحجة ضرورة ذلك لفهم الحقوق الرومانية

(هـ) وأما مسألة الاصطلاحات العلمية الحديثة فإنها ليست من الأهمية بدرجة تستلزم صرف الجهود الشاقة لتعلم اللاتينية واليونانية، فإن مصادر هذه الاصطلاحات وأساليبها محدودة، فليس من الصعب تعليمها مباشرة — مع ذكر وجوه اشتقاقها — دون التعمق فى أغوار اللغتين القديمتين المذكورتين

فضلاً عن أن المعانى الاصطلاحية قلما تنطبق على المعانى اللغوية؛ فمعرفة المعانى الأصلية قلما تساعد على فهم المعانى الاصطلاحية. ويمكننا أن نقول: إن عدم ضرورة التقيد بالمعانى الأصلية فى الكلمات والتعبيرات المستخرجة من اللغات الميتة ، كان من أهم العوامل التى سهلت وضع هذه الاصطلاحات الحديثة ، ونشرها بين جميع الأمم العصرية (وذلك بجانب العامل الآخر، وهو ملاءمة عواطف الأمم التى لا تقبل عادة الاصطلاحات التى تستمد عناصرها من لغات الأمم المعاصرة لها). ولا نغالى إذا قلنا: إن هذه الاصطلاحات إنما أدخلت على اليونانية واللاتينية إدخالاً ، فلو أنها عرضت على أبناء اللاتينية أو آباء اليونانية فى حياتهم، لما فهموا منها شيئاً، أو فهموا منها أشياء أخرى

وعلى كل حال نستطيع أن نقول : إن معرفة المعاني الأصلية ليست ضرورية لفهم المعانى الاصطلاحية، كما أنها ليست مفيدة لها فى أكثر الأحيان

فمحاولة تبرير تعليم اللاتينية واليونانية بحجة ضرورة هاتين اللغتين لفهم الاصطلاحات العلمية الحديثة ، مما لا يتفق مع العقل والمنطق بوجه من الوجوه

(يتبع) أبو خلدون

جناية أحمد أمين
على الأدب العربى
للدكتور زكى مبارك

— ١٠ —

سنواجه الأدب الأندلسى فى مقال اليوم ، وهو الأدب الذى اتهمه الأستاذ أحمد أمين بالعجز عن تذوّق الطبيعة ، والإحساس بالوجود .

ولكن لا بدّ من من كلمة قصيرة نبين بها بعض الخصائص التى امتاز بها الأدب العربى ليعرف أحمد أمين ومن لفّ لفّهُ من المتحذلقين كيف تفرّد ذلك الأدب بالصبغة العالمية بين سائر الآداب .

أشيرُ الآداب فى العصر الحاضر هو الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزى والأدب الألمانى ، ولكن هذهِ الآداب على عظمتها لا تزال محصورة فى العبقرية المحلية . ومعنى ذلك أن أقطاب الأدب الإنجليزى إنجليز ، وأقطاب الأدب الفرنسي فرنسيس ، وأقطاب الأدب الألمانى ألمان .

والأدب الإنجليزى حين ازدهر فى أمريكا لم يكن أقطابه هنالك من السكان القدماء لبلاد الأمريكان ، وإنما كان أقطابه من السلالات الإنجليزية التى احتلت تلك البلاد .

والفرنسيون لا يعترفون لأهل سويسرا وبلجيكا بالتفوق فى الأدب الفرنسى ، ويقولون إن أدبهم لا هو لحمٌ ولا هو سمك ، على حد تعبيرهم الطريف Ni chair, ni poisson مع استثناء أفراد قلائل رفعتهم العبقرية إلى التفوق فى لغة هوجو وميسيه ولامرتين .

أما الأدب العربى فكان حظه من أغرب الحظوظ ، لأنه تغلغل فى كثير من البيئات الشرقية والغربية ، وانتفع بعبقريات كثيرة فى مختلف الأمم والشعوب ، فكان فيه أقطاب بين ناس لم تكن لهم قبل الإسلام صلة بعهد اللغة العربية من ناحية الجنس أو الدين .